الذخيرة اللغوية العربية

للدكتور عبدالرحمن الحاج صالح
مدير معهد العلوم اللسانية والصوتية
جامعة الجزائر

كما هو معلوم تقترن دائماً النهضة العلمية والتكنولوجية للشعوب بنمو لغوي على قدر أهميتها، إذ اللغة هي نفسها معرفة تقنية وفي نفس الوقت الأداة التي يحلّل الإنسان بها وعلى مقياسها الواقع. ومنذ أن خلق الإنسان احتاج إلى أن يضع لهذا السبب نفسه الألفاظ الفنية الخاصة. وكثر ذلك بتكاثر المسمّيات المستحدثة على ممر الأيام بل القرون فوقعت المجموعات الإنسانية في حيرة وارتباك إذ تشعبت التسميات واشتد الاختلاف فيها بين جهة وأخرى من نفس البلد. وهذا الذي حصل بالفعل في أوربا فتدخلت عندئذ الحكومات وأنشأت المؤسسات الخاصة لتوحيد المصطلحات. "وتنميطها". فأول ما فعلته هذه المؤسسات هو إنشاء ما سمّته ببنك المصطلحات تجمع فيها الثروة اللغوية الفنية لأكثر من بلد. وقد فعل مثل هذا تقريباً علماؤنا بالنسبة لكلام العرب حين جمّعوا ثروتهم اللغوية ودوّنوها في مثل "كتاب العين" (وليس مجرد قاموس) وكان اللغويون في زمان أبي عمرو بن العلاء يجمعون الألفاظ، كما هو معلوم، على مجالات مختلفة من الدلالات ككتب الخيل والنخيل والنبات وغير ذلك كثير.

وقد اقترحنا مع بعض الإخوان ومنذ زمان بعيد القيام بتدوين منتظم لكل ما ورد في النصوص القديمة (العلمية والتقنية خاصة) واستعمل بالفعل بمعنى من المعاني، وأن يستعان على هذا العمل بالأجهزة الحديثة المناسبة، وأن توزع الأعمال على أسر من الباحثين في مستوى العالم العربي. فهذا هو الذي أسميناه

بالذخيرة اللغوية وسنتعرض فيما يلي لأوصافها وفوائدها وكيفية إيجازها حسب تجربتنا لهذا النوع من الأعمال[1].

المصطلح العربي ومشاكله

كما هو معروف فإن الواضعين للألفاظ الفنية في الوطن العربي يلجأون عند وضعهم للمصطلح العربي في الوقت الحاضر – ومنذ بداية النهضة العربية – إلى الوسائل التالية:

١- التعريب اللفظي للمصطلح الأجنبي
٢- الترجمة الحرفية له
٣- تخصيص أو ارتجال لفظ له بكيفية عفوية
٤- تخصيص لفظ عربي بعد البحث عنه في القواميس القديمة

هذا الذي نجده عند الخاصة وبعضه عند الخاصة والعامة. فأما التعريب اللفظي فهو كثير وقد يفوق غيره لا عند جمهور الناطقين وفي اللغة المنطوقة فقط، بل حتى في اللغة المحررة وعند بعض اللغويين أنفسهم. وحجة هؤلاء في تبرير التعريب اللفظي أو إدخال الألفاظ الأجنبية هو كما يزعمون شهرة هذه الألفاظ وذيوعها عالمياً وكون التداخل اللغوي أمراً طبيعياً. نعم إن الذيوع هو مبرّر قوي ثم إن العربية كغيرها من اللغات قد أخذت من غيرها منذ أقدم العصور وستأخذ منها في المستقبل. هذا كله صحيح إلا أن الذيوع الذي يحتجون به هو ذيوع اللغة الإنكليزية وأقل منها اللغة الفرنسية واللغة الإسبانية وغيرها. كلغة دولية وليس معنى هذا أن الروسية والبولونية والصينية والفيتنامية وغيرها توجد فيها بالضرورة تلك الألفاظ. ثم إن التداخل اللغوي وإن كان شيئاً طبيعياً إلا أنه إذا كثر

---

(١) فقد شرعنا في معهد العلوم اللسانية والصوتية بتخزين عدد كبير من النصوص في ذاكرة الحاسب وعلاجها آلياً لاستخراج شتى المعلومات منها.

الأخذ من جانب واحد– أي إذا لم يحصل توازن حقيقي– فإن مصير الآخذ الذي لا يؤخذ منه شيء المسخ ثم الاندماج في غيره والزوال. فليست المسألة مسألة تعصب للغة أو تعلّق بصفائها من أجل الصفاء وإن كانت هذه النزعة الأخرى موجودة. هذا وإن ميل بعضهم إلى التعريب اللفظي وتفضيله على غيره لهو دليل في الكثير من الأحيان على نوع من الكسل (إذ هو أسهل الطرق) وأحياناً أخرى– وهي قليلة والحمد لله– على جهل لأسرار اللغة والتطور اللغوي أو على تقليد أعمى للنظريات اللغوية الغربية التي تجاوزها الزمان (الإيجابية التي ظهرت في القرن الماضي في أوروبا). ثم على أيّ أساس نفضّل لفظة "علم الطبيعة" على كلمة "فيزياء" وفي نفس الوقت ندعو الناس لاستعمال مثل "ترمومتر" و"سكترومتر" و"بندول" وترك "محرار" و"مطياف" و"نواس"؟ أليس هذا لذيوع الأولى في إقليم معين؟[1]

(١) ثمّ إنّ ادعاء بعضهم أن العلماء القدامى قد استعملوا "أرثماطيقيا" و"فيزيقيا" و"ماثيماطيقيا" غير صحيح إن أرادوا أن ذلك كان مطرداً. فإن هذه الألفاظ استعملت هكذا معرّبة لفظياً في أول الأمر للدلالة على أنها معارف وتصورات خاصة باليونان ثم ما انفكّوا حتى استبدلوها بألفاظ عربية إلا ما استساغوا مثل "كيمياء" (وحمل معاصرونا لفظ فيزياء عليه) و"موسيقى" وغيرهما. وهذا ليس يضرّ بالعربية في شيء. كما هو الشأن في عصرنا هذا فقد استساغ الناس لفظة (إلكتروني) وفضلوها على "كهرونى" (وكون هذه الأخيرة من أصل معرّب قديم لم يكن له أي تأثير في ذلك) ولا بأس باستعمال اللفظ الأجنبي الذي يدل على مفهوم خاص بمدرسة أو نزعة معينة لا على ظاهرة أو حقيقة مسلمة وذلك مثل الكّلوسيم (Glossem) في نظرية هلميسليف Hielmslew اللغوي الدنماركي. وكذلك إذا أراد العالم العربي أن يشير إلى أن لفظة "فونيم" في هذه العلوم نفسها هي تصوّر اللغويين الغربيين. أما أن يترك اللفظ العربي الأصيل تركاً كلياً ويستبدله باللفظ الأجنبي بحجة أنه لا يدل على ما يدل عليه هذا الأخير ودون أن يرجع إلى التراث الأصيل (عند المبدعين من علمائنا) للتأكد من ذلك فهذا الذي يبدو لنا فاسداً من الأساس.

أما الترجمة الحرفية أو الترجمة للفظ دون المعنى فهذا أيضاً كثير جداً في زماننا وقد يرجع السبب في ذلك إلى عاملين اثنين:

الأول هو اضطرار الخبراء والأساتذة العرب إلى إيجاد المقابل العربي في أقرب وقت ليتمكنوا من تحرير تقاريرهم ومقالاتهم ومحاضراتهم بالعربية (في الجامعات والمؤسسات المعربة). وكذلك هو الأمر بالنسبة لمؤلفي المعاجم.

الثاني هو الكثرة الكاثرة من المعلومات العلمية والتقنية التي يتلقاها الإنسان من خلال وسائل الإعلام كالإذاعة والصحف والمجلات والتلفزة وتكون المصطلحات التي تستعمل في هذه الوسائل في الغالب مجرّد ترجمة حرفية واضطرارهم على إيجاد المقابل العربي الذي قد لا يوجد في المراجع التي يرجعون إليها.

وهذا هو سبب وجود الكثير من المصطلحات التي لا تؤدي المعاني الفنية المقصودة. وذلك مثل ما وجدناه في معجم قد نظرت فيه المجامع العربية[١] في ترجمة Velum إلى "شراع الحنك" (ترجمة لـ Voile du palais) فمتى كان للحنك شراع!؟[٢] وترجموا كلمة Features التي تستعمل في الصوتيات للدلالة على ما يسميه العرب بالصفة (المميزة) بكلمة "ملامح" لأنهم وجدوا في القاموس أن هذه الكلمة تدل على ملامح الوجه (of the face) وتركوا المعنى المقصود ويتراءى جيداً في الفعل to feature= وصف. وكذلك فعلوا بالنسبة لمفهوم ال Vocal Cords من معاني Cord "الحبل" إلا أن واضع هذه التسمية[٣] كان يشبه

---

(١) وهو المعجم الموحد "الجزء ٤ مصطلحات علم الحيوان".

(٢) وهو من معاني voile ولكن المقصود هنا هو معنى الغشاء لا الحجاب والشراع.

(٣) وهو فيزيولوجي فرنسي اسمه Ferrein قدم بحثاً للمجمع العلمي الفرنسي في ١٧٤١ ميلادية اقترح فيه هذه التسمية انظر Memoire de Academies dessciences سنة ١٧٤١ ص409-430.

العضلتين الرقيقتين اللتين تحدثان الصوت في الحنجرة بأوتار الآلات الموسيقية ولم يقصد "الحبال" التي تربط بها الرزم وغيرها! وقد بيّن بعض إخواننا الخلط الذي هو حاصل الآن، بسبب عدم اعتناء الواضعين بالمعاني الحقيقة التي قصدها واضعو المصطلح الأجنبي، وذلك كلفظة Polecat عربت بلفظة "سنور القطب" ظن المترجم أن Pole هنا هو القطب مع أن البحث عن أصل الكلمة بين أنها بمعنى الدجاجة.

أما تخصيص عامة المستعملين اللفظة العربية للمسمى المحدث فهذا أيضاً كثير وذلك مثل: الطيارة والبلدية والمصلحة والحوالة وغيرها. وقد وفّق الواضع الأول (المجهول غالباً) في الكثير من هذه التسميات المولدة ودخلت في اللغة المحررة. وهكذا توضع المصطلحات في البلدان التي بلغت مستوى عالياً من العلوم والتكنولوجيا، فعامة الخبراء في علم أو فن مخصوص هم الذين يصوغون الألفاظ التي يحتاجون إليها عند ظهور الشيء المحدث لا اللغويون. إلا أن هؤلاء قد يوجّهون الواضعين بل ويرشدونهم إلى بغيتهم. ونذكر هنا مثال الـSoftware وهو مجموع البرامج التي تستعمل في العلاج الآلي للمعلومات (= المعلوميات informatics في مقابل الـHardware فإن اللغويين الفرنسيين وضعوا كلمة Logiciel (في مقابل Materiel) فنجحت وتغلبت على الكلمة الإنكليزية.

ومن أسباب النجاح أن فيها نوعاً من الطباق اللفظي والمعنوي مع مقابلها (زيادة على خفة مخارجها) إذ توحي إلى المعنى المقصود: وهو الترتيب المنطقي للتعليمات نفسه في مقابل الآلة الرتابّة ordinatur التي تستغل هذا الترتيب وتطبقه على معطيات معينة للوصول إلى نتيجة (قارن بنتيجة المحاكمات

العقلية)[1] أما فيما يخص اللغة العربية فإن أصحابها لم يتمكنوا بعد من التحكم الخلاق في ميدان التكنولوجيا ولهذا يثار موضوع الوضع في الكثير من الأحيان في المحافل والمؤسسات ذات الطابع اللغوي مثل المجامع. وهذا يؤدينا إلى الكلام عن النوع الأخير من وسائل الوضع وهو التخصيص المدروس المنتظم للمصطلحات.

الأدوات اللازمة لوضع المصطلحات

قلنا التخصيص المنتظم ولكن لا بد من التحفظ في إطلاق هذه الصفة فقد قلنا في بحث سابق بأن البحث في المصطلحات لا يزال في الوطن العربي قليل النجاعة فإذا أردنا أن تتغير أحوال هذا البحث فلا بد أن يستجيب لمتطلبات عصرنا الحاضر ولن يتم ذلك إلا باستيفاء عملنا – معشر العلماء واللغويين– لهذه الشروط:

١– أن ينبني على مجموعة واسعة جداً من المعطيات أي على مسح كامل:

- لما يجري الآن استعماله بالفعل في الوطن العربي بأكمله.
- ولما كان مستعملاً قديماً وورد في النصوص العلمية وهذا يقتضي:

٢– الرجوع إلى التراث العلمي العربي ولا يكتفى في ذلك بالمعاجم القديمة.

٣– أن ينطلق من أكثر من لغة لا من تصور واحد خاص بلغة أجنبية واحدة.

٤– أن ينظر في أسرار الاستعمال والاعتداد بقوانينه وإجراء الدراسات الواسعة النطاق لهذا الغرض وكل هذا يستلزم أيضاً:

٥– أن يعتمد لإجراء هذه الأعمال العظيمة على الآلات الإلكترونية الجبارة.

---

(١) التسمية العربية "رتاب" التي أطلقت على الحاسب الإلكتروني هي لهذا السبب أوفق لأن الحاسب لا يقوم فقد بعمليات حسابية (والتسمية الإنكليزية هي قديمة استعملت قبل أن تصير الحاسبات على هذا الشكل وذات القدرة على إجراء العمليات المنطقية غير الحسابية).

- الذخيرة اللغوية العربية

أما عدم الشمولية التي يتصف بها الكثير من البحوث، فلأنها لا تزال فردية وجزئية ويدوية ولم تصر بعد إلى ما يجب أن تصير إليه من تنظيم الأسر من الباحثين وتوزيع المهامّ عليها بحيث يقوم هؤلاء بإجراء التحريات في الميدان لتجميع المصطلحات المستعملة بالفعل في جميع البلدان العربية ويقوم أولئك بجرد كامل للأمالي والكتب والمنشورات العلمية وأسرة أخرى تكلف بتفريغ كل ذلك في جذاذات وهكذا. فهذا العمل الجماعي الشامل هو الذي يضمن الموضوعية المطلوبة لأن المسح المستفيض لجميع المعطيات بدون استثناء شيء منها هو شرط أساسي للعلم كما هو معلوم. ثم إن المعلومات المجمعة لا بد أن ترتب الترتيبات المختلفة لتكون سهلة المنال والاستحضار ولا بد أن لا يكتفى فيها بذكر المصطلح بل يحتاج الباحث أن يعرف أين يستعمل هذا اللفظ بالفعل، وبأي معنى وفي أي مراجع قد ورد، وكم مرة، أي ما هي درجة تواتره أو انتشاره وغيرها من المعلومات المفيدة التي ستكون كالمقياس لاختيار الألفاظ وتوحيدها. وهذا العمل الجبار لن يتم إلا باستعمال الآلات الإلكترونية العظيمة القوة. وقد طرحنا في عدة مناسبات هذا السؤال: كيف يمكن أن يضع الواضع منا للمسمى المحدث لفظاً عربياً مناسباً يحظى بجميع الصفات التي ستجعله يذيع ذيوعاً واسعاً إن لم تكن لديه وتحت تصرفه مجمّعة ومرتّبة كل الألفاظ الفصيحة (قديمة أو مولدة) التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص بهذا المسمى؟ فهذه المعطيات المجمّعة المرتبة هي التي سميّناها بالذخيرة اللغوية العربية[1].

أوصاف الذخيرة وفوائدها وكيفية إنجازها

---

(١) بالإنكليزية The Thesaurus (or Treasure) of th Arabic language

إن الذخيرة اللغوية هي عبارة عن **قاموس جامع للألفاظ العربية**. ويفارق هذا القاموس غيره من القواميس (الحديثة بالخصوص) في هذا الصفات الأساسية:

١- سيكون له ثلاثة أشكال:

- شكل تسجيل في ذاكرة الرتّاب (الحاسب)
- شكل جذاذية عادية من جهة ومصغرة (ميكروفيشات تحتوي كل واحدة على ٦٠ صفحة) من جهة أخرى
- شكل كتاب عادي (موسوعة لغوية)

٢- يحصر جميع الألفاظ التي وردت لا في المعاجم العربية فقط بل تلك التي استعملت بالفعل في نص من النصوص التي وصلتنا من أمهات الكتب القديمة والحديثة والآثار الأدبية والعلمية والتقنية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر مع الإشارة إلى انتماء الكلمة أو العبارة إلى الفصيح المسموع عن الفصحاء السليقيين[١] أو المولّد الذي جاء على قياس كلام العرب.

٣- يذكر كل السياقات (**الحقيقية**) التي ورد فيها اللفظ ولا يخترع الأمثلة كما تفعله القواميس الحديثة بل يثبت جميع سياقاته من أمهات الكتب والآثار الأدبية والعلمية التي ورد فيها اللفظ مع ذكر المرجع بدقة ولا يكتفي بالسياق الواحد.

٤- ترتب فيه الأوضاع اللغوية (في ذاكرة الرتّاب) شتى الترتيبات:

- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ).
- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).
- ترتيب بحسب درجة تواتر الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص).

---

(١) الذين أخذ منهم اللغويون العرب الأولون.

- ترتيب بحسب درجة شيوع الكلمة أي ذيوعها في البلدان العربية أي بحسب اتساع رقعة استعمالها[1]
- ترتيب بحسب العلوم والفنون.

هذا وتنقسم الذخيرة إلى قسمين:

- بنك المعلومات اللغوية (وفيه يندمج بنك المصطلحات)
- المعجم المحرّر

أما الأول فهو عبارة عن رصيد ضخم جداً جمعت ورتبت فيه المادة الخام (الألفاظ مع سياقاتها) التي دونها وجردها الباحثون مع ذكر كل المعلومات الإضافية الضرورية (التواتر والشيوع والمرجع أو مصدر الأخذ).

والثاني هو عبارة عن موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثاً حول كل لفظة. فكل باب أو مدخل من هذا المعجم يحتوي على ما يلي:

١- **تحليل دلالي للفظة انطلاقاً من السياقات** وحدها ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت وذلك بـ:
   - **التوضيح الدقيق:**
   - للمعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجذر).
   - للمعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعاني الفنية وغير الفنية).
   - **ذكر المقابل الإنكليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجدت** أو ما يقرب منه مع بيان الفوارق التصوّرية.

٢- تعليق نحوي وصرفي وجيز (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال) بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو قديماً (مع ذكر المراجع).

---

(١) أما ما سيطبع وينشر فستدمج فيه هذه المعلومات (التواتر والشيوع) ويكون الترتيب أبجدياً عاماً في طبعة ومفهومياً في طبعة أخرى.

٣- تعليق تاريخي للمادة وفروعها (انطلاقاً من تحليل النصوص أو المقارنة بينها)

- بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل وتفسير تكييفها.

ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة في النصوص التي لدينا (الأصلية والدخيلة)

- ذكر تاريخ أول تحوّل دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة)
- ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت في الاستعمال.
- وصف إجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة
- بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية (مع ذكر المواد الأصلية)

٤- **ذكر درجة تواتر الكلمة** حسب العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية والأدبية إن اقتضى الحال.

٥- **بيان شيوع الكلمة** الجغرافي (حسب العصور أيضاً).

٦- **ذكر المرادفات والأضداد** للكلمة إن وجدت وكذلك الألفاظ التي **تجانسها في المفهوم.**

٧- **ذكر الدراسات التي خصصها العلماء لهذه الكلمة** أو تلك المادة.

أما فوائد هذه الذخيرة فهي كثيرة جداً ومتنوعة. فبالنسبة لوضع المصطلحات فإن الواضع إذا أراد أن يعرف هل يوجد في العربية أو في الاستعمال الراهن لفظ أو أكثر من لفظ يدل على مفهوم خاص فلا يمكنه في الوقت الراهن أن يجد مرجعاً موثوقاً يستجيب لطلبه بأن يجمع له كل الألفاظ التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص الذي يهمه اللهم إلا بعض المعاجم المحدودة المجال. وأما القواميس المزدوجة اللغة الحالية فقد وضعت للاستعمال لا للوضع ثم حتى لو فرضنا أن المستعمل قد يكون واضعاً في نفس الوقت إذا قصد ترجمة الألفاظ الأجنبية فإن هذه المعاجم هي الآن

ضئيلة المادة ولا يمكن أن تستجيب لطلبات المترجمين الهائلة فضلاً عن التخليط والأغلاط الفاحشة[١] التي يتصف بها أكثرها. أما القواميس الوحيدة اللغة (القديمة خصوصاً) فاللغوي كما هو معروف يبحث السنين الطوال أحياناً حتى يقع بالصدفة على بغيته. وهذا عمل اعتباطي غير علمي لأن العلم هو على حد تعبير علمائنا حسّ ونظر أي استقراء وتصفّح كامل ثم صياغة عقلية. فأما إذا كان لدى الواضع ما يسمى ببنك المعلومات اللغوية كما سبق أن وصفناه فإنه يمكنه – أينما كان في الوطن العربي– أن يلقي أسئلة على الرتّاب بواسطة الآلات المهيأة لذلك[٢] كأن يريد أن يعرف المجال الدلالي الخاص بأمراض الخيل أو الضأن أو المجال الخاص بالمرتفعات والتضاريس أو المجال الخاص بأدوات الحفر والتنقيب وهكذا، فإنه يكفيه أن يحرّر سؤاله على ملمس الطرف فتظهر بعد ثوان على الشاشة جميع الألفاظ العربية التي تدخل في هذه المجالات الدلالية القديمة والمولّدة بما في ذلك المصطلحات الحديثة أيضاً. ويحصل إن شاء أيضاً على جميع سياقاتها التي وردت فيها في زماننا أو في عصر من العصور ومراجع هذه السياقات وذلك بواسطة طابعة ملحقة بالدماغ الإلكتروني وهكذا يستطيع الواضعون اختيار اللفظ المناسب من بين العشرات من الألفاظ المتجانسة المعنى فهي كلها محصورة وتحت تصرفه. وهذا يوفر له الوقت ويضمن موضوعية الاقرار للفظ وأهم شيء في هذه الموضوعية هي مقياس التواتر والكثرة والشيوع وبذلك يتفادى النادر والشارد وهو الذي سمع من رجل واحد مرة في حياته. (ولا يلجأ إلى هذا النوع من الألفاظ إلا عند الحاجة أي ليطلقه مثلاً على المفهوم القليل الدوران أو الغريب)[٣] ويجب التنبيه على أن هذه الذخيرة قد تخلو على

---

(١) بسبب التساهل المنهجي (المهول) وقد يبين ذلك أكثر من واحد. ثم هذه القواميس لا تذكر أبداً مرجع الكلمة (في أي نص وردت).

(٢) وهي جد متوافرة الآن في البلدان العربية. والسؤال يقع بواسطة "الطرف" Terminal وهو عبارة عن شاشة وملمس يتصلان بالدماغ الإلكتروني من جهة وبالباحث (هاتفياً مثلاً) من وجهة أخرى.

(٣) هذا فضلاً عن الفوائد التي يجدها المؤرخ والعالم الاجتماعي وغيرهما.

الرغم مما تزخر به من ملايين السياقات وملايين الألفاظ المكررة في سياقات جدّ مختلفة؛ قلنا قد تخلو من اللفظ المطلوب فعند ذلك – وعند ذلك فقط – يمكن أن يلجأ إلى التوليد بالاشتقاق من مادة معينة (ينتقيها الواضعون من هذه الذخيرة) وعلى صيغة تؤدي المعنى المطلوب. فالاعتماد على الذخيرة هو رجوع إلى التراث وفي نفس الوقت رجوع إلى كل ما أحدث اليوم أو منذ الأمس القريب في مجال دلالي معين مما دخل في الاستعمال[1]. ويمكن أن نمثل لهذه الفوائد بمثال العلوم اللسانية التي هي من اختصاصنا. فقد عزمت على القيام بجرد لكل الألفاظ العربية التي استعملت قديماً في هذه العلوم وخصوصاً في الصوتيات وذلك انطلاقاً من كتب العلماء العباقرة الأولين أمثال سيبويه – والخليل من خلال ما روى عنه– ومدرسة ابن السراج وابن جني وكذلك الأطباء العرب مثل ابن سينا وغيره والموسيقيين العرب مثل الفارابي ومباركشاه وغيرهما. فبهذه الذخيرة الصغيرة استطعنا أن نصلح الكثير من المسوخ التي دخلت في استعمال بعض الأفراد ودوّنت في مشروع معجم اللسانيات الذي نقدمه مع مكتب تنسيق التعريب إلى هذا المؤتمر الموقّر وذلك كاللفظة التي سبق أن ذكرناها Voile du palais فإن ابن سينا يستعمل في كتاب "أسباب حدوث الحروف" وغيره من الكتب عبارة: "صفاق الشجر" والصفاق هو جلد البطن الرقيق فأما الشجر فتحدده المعاجم بأنه "مفرج الفم" وهذا تحديد غامض إلا أن النسبة إليه تطلق على جنس من الحروف مخرجها كلها وسط الحنك وعلى هذا فإن "صفاق الشجر" تسمية جد لائقة وما يؤيدها هو وجودها بالفعل في الاستعمال (وعند أكبر علماء الصوتيات الفيزيولوجيين قديماً). وهناك مفهوم آخر هو الVariant أو Allophone فقد استعمل العرب لهذا المعنى "الوجه" من وجوه الأداء "والمخرج" كمصدر (انظر قول الجاحظ: "المخارج لا تحصى، البيان ٣٤/١" و"البدل" الجائز أو الواجب في معنى Compinatory variant أو free Variant أو Conditioned Variant).

---

(١) أما ما لم يدخل فسيجده أيضاً لكن مصحوباً بهذه الملاحظة: وضعه الأستاذ فلان أو المجمع الفلاني ولم يرد في أي نص إلّا في قائمة أو معجم كذا.

ونذكر فائدة أخرى هامة جداً وهي المعلومات التي سيحصل عليها الباحث بعلاج الرتّاب للمعطيات واستخراج الجذور والصيغ وبالتالي إحصاؤها وحصرها مع الكشف عن أكثر هذه العناصر تواتراً في الاستعمال وأكثرها تفريعاً وأكثرها شيوعاً في وقتنا الحاضر وفي غابر الأزمنة. ثم التحديد الدقيق لمعاني كل صيغة باستقراء كل الكلمات المصوغة عليها. وهذا سيفيد الواضع لأنه سيجعل من هذه المعلومات الموضوعية – المستخرجة من واقع اللغة والاستعمال لا بالتخمين والانطباعات الذاتية – مقاييس لتوليد الألفاظ وتخصيص كل بناء ووزن بمفهوم علمي أو تقني على غرار ما يفعله الواضعون الغربيون بالسوابق واللواحق اللاتينية واليونانية. ولا بد من التنبيه على أن التصفّح الكامل – بالآلات العظيمة – هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن الموضوعية والدقة العلمية(١).

أما كيفية إنجاز هذه الذخيرة فتكون بإنجاز العمليات التالية(٢).

١- القيام بمسح تدويني كامل شامل لكل ما يجرى استعماله في التخاطب الكتابي والشفاهي في جميع المؤسسات العلمية على مستوى العالم العربي كالجامعات ومراكز البحث والمختبرات والمصانع وورشات العمل والمناجم وسائر الأماكن التي يختص التخاطب فيها بلغة فنية معينة. وذلك بإجراء التحريات الميدانية الواسعة وبطرق ومنهجية معينة.

٢- القيام باختيار عينة كبيرة من الكتب العلمية والتقنية والأمالي والبحوث والمعاجم وغيرها القديمة والحديثة.

---

(١) ويستعان بما قد سبقنا به إلى ذلك علماؤنا القدامى للزيادة في الفائدة والمقارنة العلمية ونذكر خاصة كتاب الفارابي اللغوي (لا الفيلسوف) المسمى "بديوان الأدب" فيما يخص الصيغ. "ومقاييس اللغة" لابن فارس فيما يخص الجذور وكتاب العين للخليل (وكذلك بعض الأعمال **الإحصائية الحديثة القيّمة**).

(٢) اقترحنا مثل هذه الخطّة تقريباً في بحث سابق.

٣- القيام بتدوين كل هذه المعلومات بتخزينها في ذاكرة الرتّاب[1] ويجب أن يكون من أكبر وأقوى طراز – **(وهذا شيء قليل في حق لغة القرآن)**. ثم القيام بالعلاج الآلي لها باستخراج الجذور والصيغ واستقراء السياقات وتعداد درجة التواتر ويتم ذلك بمنهجية قد أعدّت في معهد العلوم اللسانية بالجزائر. (وقد قام هذا المعهد كما قلنا سابقاً بتخزين وعلاج أكبر قسط من الشعر الجاهلي وعلاج الرصيد اللغوي المغربي العربي).

هذا ولا ننسى دور الاستعمال – أي اختيارات الناطقين وإقبالهم على بعض الألفاظ ورفضهم للبعض الآخر. وهنا تظهر أهمية الدراسات التي ترمي إلى استكشاف أسرار هذه الظواهر وتفسيرها حتى يضع الواضعون ألفاظاً يكون لها حظ كبير من النجاح.

٤- القيام باستفتاءات واسعة النطاق على موقف المستعمل من الألفاظ المقترحة ويتم ذلك بإجراء التحريات في حقول محدودة على شكل استنطاق للأخصائيين وذلك بملء المستنطقات. ونفس التحري في نطاق أوسع يجري على أمواج الإذاعة والتفلزة وعن طريق الصحف ليَمسّ جمهور الناس. ثم القيام – في الوقت نفسه بدراسة علمية لما وضعه الناس والمؤسسات منذ أكثر من خمسين عاماً وخصوصاً المجامع والجامعات والبحث عما دخل من ذلك في الاستعمال ومحاولات الكشف عن أسباب النجاح والفشل.

أما القائمون بكل ذلك فنظراً لضخامة العمل فإنه ينبغي أن توزع المهامّ على جميع البلدان بإشراف جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم). ونقترح أن تنشأ لجان محلية تتكون من 10 إلى 20 شخصاً

---

(١) أما التراث العلمي والأدبي القيم الغني بالمفردات والمصطلحات فيجب أن يواصل تدوينه طيلة سنين حتى يؤتى على كامله.

بين باحث ومساعد فني في داخل مؤسسة جامعية أو بحثية متخصصة يوكل إليها الإشراف على العمل. وتزود حكومة كل بلد هذه المؤسسة وهذه اللجنة بشيء من العدة (كأربعة أو ستة أطراف) لتدوين وتخزين المعطيات والاتصال المباشر في الوقت نفسه بالهيئة الفنية المكلفة بالتنسيق بين اللجان وتوزيع المهامّ وإدماج المعلومات في ذاكرة الرتّاب المركزي. وتكون هذه الأطراف أيضا وسيلة لكل الباحثين القاطنين في هذا البلد للسؤال عن المصطلحات.[1]

والله وليّ التوفيق.

(١) قدّم هذا البحث إلى المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١-١٩٨٥/٩/٢٥م.